

قبل أيام جاء الى سلمى الصواف من يقول لها بأن راديو الشرق الادنى وجه لها ضمن رسائل اللاجئين الى ذويهم الرسالة التالية :

« من جميل عبدالله في بيروت الى والده كريم عبدالله ووالدته سلمى واخته وداد في يافا . انا بخير كذلك خطيبتي ناديا . سنتزوج في الساعة الثالثة من بعد ظهر الثامن من ايار في كنيسة (السيدة) ثم نسافر لاملع في الكويت . مشتاقون طمنونا بواسطة الاذاعة » .

ولم تتالك سلمى وزوجها كريم دموعها وهما يستمان الى الراديو وهو يذيع بمد أيام ردهما على رسالة ولدهما .

« من كريم عبدالله وزوجته سلمى وابنته وداد وزوجها .. نبارك زواجك وندعو لك بالخير » .

وكان هذا اقصى ما يمكن لسلمى وكريم ان يفعله لعرس جميل ، هذه المناسبة التي عاشا على املها منذ اطل جميل على الدنيا وصار كل زائر لا يختم شربه قهوتها الا داعياً « بفرحة جميل ان شاء الله » .

ولم يمكن لسلمى ان تتصور انها ستحرم من حضور الفرح الا ان يماجلها الموت او يقمدها عن ذلك قضاء الله .

وبيروت ليست في الهند او الهند .. بيروت لا تحتمل اكثر من ساعات ست في مشوار سيارة .. ولا تحتمل اكثر من نصف ساعة في طائرة .. ومع ذلك فستحيل المستحيلات لديها ان تذوق فرحة العمر وتكمل عينيها برأى جميل عريساً تردهي خصلات شعره الناعم تحت الكليل تتدل منه شرائط بيضاء يتوج به الكاهن رأسه وبآخر رأس العروس ثم يدفن وجهه بكتابه ويرتل بصوت جهير :

« اعطها يا رب ثرة البطن وحسن التوليد والاتفاق للنفس والجسد ، هب لها زرعاً مسبلاً لكي يكونا مكتملين في كل شيء وينظرا لبني بنيتها مثل اغراس الزيتون حول ما تدتها .. »

اية قسوة في الحياة تشتط فلا تشفق على قلب ام ولا تفرح قلب اب ... وكانت عيناها مملقتين بالساعة تكاد لا تستين المقارب من خلال دموعها وقربها ابو جميل يقوم ويقعد ويصق من النافذة ويلمن في سره ابا اليهود .. وكانت معها ايضاً وداد ابنتها وزوجها واولادها .

وتدق ساعة الحائط ثلاثاً ونجش ام جميل وهي تسرح طرفها من النافذة على مدى الشارع الخالي الذي كادت تموت فيه الحياة .. فلا صبيانه يصخبون ، ولا بناته يلبن ، ولا شيوخه يلتمسون ذفء الشمس على كراسي صغيرة امام بيوتهم .. كاهم راوحا .. او ماتوا او هانوا على الهوان . في هذه الساعة .. بل في هذه اللحظة يكون جميل قد امسك يد عروسه وسارا معاً الى الهيكل يتقدمها كاهن يبخرنه فيتدافع الناس الى امام يتزدون نظرة من العروس .. ترى ما شكل هذه العروس ؟ .. بيضاء ، سراء ، طويلة ، قصيرة .. هي لم تتعرف عليها حتى في صورة او رسالة ، هي حلوة تستاهل جميل ?? امي بنت حلال تستحق ان تكون ام اولاده .. ?

عندها به يحب الحلوات .. له فيهن نظرة حين كان ما يزال بافماً يجيئها من بيروت مع كل صيف ليقتضي الى جانبها عطلة المدرسة وكانت تريد له بنت ابن خالها دون البنات جميعاً فلها حلوة الدمى وتربية بنات الاصل .. وكانت كلما حادته مداعبة تحته على الجدل ليفدو مهندساً فتكون العروس في بيته بمد تخرجه بأسبوع .. فكيف انقلب الزمان ودار الدولاب وانقطعت الاسباب بينها وبين احبابها فحرمت طلة جميل عليها .. وحرمت

ود الاقارب ، مذ هاجرت اخنها وعائلتها وبنات عمها وشقيقات زوجها .. وبقية هي في يافا لان زوجها كان مريضاً .. وآثرت ابنتها البقاء لان زوجها كان عاقلاً .. وبقي جميل بمبدأ عنها في بيروت ، وظلت هي مع من ظلوا بجرع الهوان وتميش على ذكريات توافها كلما قويت الاثرات في نفسها . جميل يزف الساعة فن لها يجناحين تطير بهما اليه .. يزف فلا ام او اب الى جانبه .. اية وحدة يستشمرها جميل وهو لا يرى حوله من اهله احداً .. كلهم اهلهما .. امها ابوها ، اخوتها واقرباؤها .. واحد منهم بلا شك سيكون شاهد العرس .. وكانت تطمح ان يكون احدها ابناء عمومته الشباب ، واحداً ممن يجري في عروقهم دم جميل نفسه فكيف يتزوج هكذا كالتقطوع ؟ .

وانفعلت ام جميل اكثر مع موجة كراهة فجائية استشمرتها نجما اهل العروس اذ اوقموا جيلاً في شباكهم واستمجلوه الزواج وما خلوه ينتظر انفراج الضيق وانحسار الازمة .

ما هي هذه الكنيسة التي اختاروها له ليزف فيها ؟ امي كبيرة ككنيسة (الخضر) ؟ وقورة تنتصب مثلها بجبال تنعقد في سماها روائح البخور والشمع المحترق مع التبتل والابتهالات .. ما اعظم شوق يافا لان ترى عرساً لاحد ابنتها .. حتى اعراس الحلقى صارت كجنازات الصعاليك .. بعد ان مات طعم الفرح في افواه الناس .. وصارت جباههم مرسومة بالاسى ..

ترام جميلون بعرس جميل .. عرس وحيدها كما ينبغي للاعراس ان تكون ؟ فتمتلي باحة الكنيسة بالحضور ويسخر اهل العروس باللبس يأكله الكبار والصغار ويدعون لاهل الفرح بهمار الديار ؟ من يتلقى التهنئة بمد العرس .. امها وابوها ؟ ومن

يا ترى من الحضور من بحرص على المادة فلا ينسى ان يجعل ابرة وخطاً يشد به ثوب العروس الى بذلة العريس فيجي تقليداً ليس احب منه الى قلوب الامهات ؟ . جميل يحس الخجل ولا شك ! ويعرق في بحر عرق .. يا من

زفرار

قصة بقلم لانا سيرة عزام

ياخذ عمرها ويربها اياه في بذلة عرسه السوداء .

تراه يذكرها الساعة ويشتهي وجودها وابوه الى جانبه؟ هل انقدصوتها في زحمة الزغاريد ??

من يزغرد للعريس ?? ام العروس؟ بصفاة كأن العرس عرس ولد ذكر لها ؟ لعنها الله .. لقد خلا لها الجو فكانت امه وامها .. تطلب ما تشاء وتفرض ما تشاء .. آه لو كانت قريبة لاقفتمها عند حد واسكنت مطامها فهي ادري بامهات المرائس ..

كم انقضى على بدء حفلة العرس ؟ نصف ساعة .؟ اذن فالعروسان يدوران حول الكاهن دورة تقليدية .. والناس من حولها يرتلان (بالبحمد والكرامة) وجبين ابنا ينضح برفقاً .. ولا شأن لها بالعروس .. فلا تفكر كيف عساها تبدو ..

وتمسح سلمى عينيها بطرف كها وتنظر الى ابنا بنتها الذاهلين يملون شوعاً غير مضاعة ، كانت اعطتها لهم .. فتصبح بهم : شوعكم مطعماً في عرس جميل ؟ لا كنت ان لم اجملها وهجاً يتراقص .. اشملوها يا صغار اشملوها واضحكوا ما بال وجوهكم في جمود التائيل ؟ افي كل يوم يتزوج جميل ؟ وفي كل يوم تفرح عروس بعريس مثله ؟ قربوا مني ورتلوا هكذا .. ماذا الا تحبون جميل ؟ لم لا تفتحنون شفاهكم بتريمة عرس ؟

واقتربت تشعل شموعهم ولكنهم لم يتحركوا .. كانوا يحدقون اليها بعيون غريبة وهي تدور بينهم تمسح دموعها بكم ثوبها وتمز صمت سكان الحي الواجم بزغاريدها المنخوفة ...